

الإنسان المفكر (Homo Sapiens) "في مواجهة الذكاء الاصطناعي.. أي مآل؟

Homo Sapiens in the Face of Artificial Intelligence: Future Insights

عبدالقادر بلعالم*

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، a.belalem@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/12 تاريخ القبول: 2024/09/16 تاريخ النشر: 2024/10/03

ملخص:

"الذكاء الاصطناعي بما هو إنسان آلي مفكر؟"، هي الفكرة التي سنتوقف عنها في هذا المقال، تحليلًا ومناقشة، والسؤال الذي يحرك تفكيرنا حول هذه القضية، هو ذلك المتعلق بمفارقة الأداء الوظيفي الذي اخترع من أجله، وهو التفكير الآلي الذي يتم من خلال آليات وبرامج حاسوبية تحاكي البنية الأساسية للدماغ البشري، وبرمجتها للقيام بأعمال واستنتاجات مماثلة وشبه متطابقة مع تلك التي يقوم بها الذكاء الإنساني. إنها مفارقة الآلة العاقلة المفكرة؟!، وجوهر المفارقة ومجلاها، هنا، أن "التعقل" صفة طبيعية ولازمة وجودية لموجود طبيعي حيواني الجنس، إنساني النوع، ووجه الدهشة والغرابة في هذه المفارقة العلمية؛ هي في مدى نجاح الإمكان العلمي التكنولوجي في الاستنساخ الآلي (الاصطناعي) لـ "القوة الناطقة"/ المفكرة. بما هي خاصية وجودية نوعيه للكائن البشري. وأمام هذه المفارقة؛ نجد أنفسنا أمام عتبة أفق إشكالي يتحدد بالاستفهام عن مفهوم ووظيفة لـ "العقل" خارج حيزه الوجودي الطبيعي وخاصيته الإنسانية البشرية؟ فهل بإمكان الآلة أن تفكر ومن ثم تتأمن؟ وما هو مستقبل الوجود الإنساني في ظل التطور التكنولوجي للإنسان الآلي.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الإنسان المفكر، الإنسان الآلي، الوعي، البرمجيات الحاسوبية.

Abstract:

"Artificial Intelligence a software with a human cognition"! This expression is the focal point of this article which analyses and discusses the functional purpose for which Artificial Intelligence has been invented. This article also aims to unravel the sole aim behind the invention of a software that mimics human cognition and reasoning which are particularly human characteristics. In the face of this paradox, researchers find themselves at the threshold of a problematic caused by the success of the scientific and technological advancement which resulted in creating a "talking": "cognitive" software that made researches rethink the concept and function of "the mind" outside its natural, existential space and its human characteristic. In this respect, other questions raise like can machines think and therefore humanised? What is the future of human existence in light of mechanised human technological advancement?

Keywords: Artificial Intelligence, Homo Sapiens, human robot, consciousness, computer programming.

مقدمة:

ما يلفت النظر، ويثير الدهشة والاستغراب، ومن ثم التساؤل فيما يخص الاكتشاف العلمي والتكنولوجي المتعلق بـ "الذكاء الاصطناعي" هو مفارقة الأداء الوظيفي الذي اخترع من أجله، وهو التفكير الآلي/ اللانسانى الذي يتم من خلال آليات وبرامج حاسوبية تحاكي البنية الأساسية للدماغ البشرى، وبرمجتها للقيام بأعمال واستنتاجات مماثلة وشبه متطابقة مع تلك التي يقوم بها الذكاء الإنسانى. إنها مفارقة الآلة العاقلة المفكرة!!!؟؟؟، وجوهر المفارقة ومجالها، هنا، أن "التعقل" صفة طبيعية وإلزامية وجودية لموجود طبيعى حيوانى الجنس، إنسانى النوع، ووجه الدهشة والغرابة في هذه المفارقة العلمية؛ هي في مدى نجاح الإمكان العلمى التكنولوجى فى الاستنساخ الآلى (الاصطناعى) لـ "القوة الناطقة"/ المفكرة. بما هي خاصية وجودية نوعيه للكائن البشرى. استنساخا يجعل من هذه اللحظة العلمية المتطورة للذكاء الاصطناعى بما هو (الآلة المفكرة) لحظة ما بعد "الأنا المفكرة" في مرجعيتها التصورية الأنطولوجية الديكارتية، لحظة "ما بعد" تؤشر وتؤذن بنهاية العقل البشرى (الإنسان الأعلى) في تخريجه المفهومى النيتشوي. ليحل محله العقل/ الذكاء الاصطناعى.

وباستحضارنا لصورة التقابل بين الـ "ما قبل" كوعاء زمانى ساد وتسيّد فيه العقل الطبيعى (الإنسانى)، والـ "ما بعد" الراهن الذى يتموقع فيه العقل الاصطناعى على سبيل النديّة والتجاوز والاستعاضة عنه؟؟ نجد أنفسنا أمام عتبة أفق إشكالى يتحدد بالاستفهام عن مفهوم ووظيفة لـ "العقل" خارج حيزه الوجودى الطبيعى وخاصيته الإنسية البشرية؟؟ وعن مفهوم ووجود ومصير الإنسان بلا عقل؟؟ وما يترتب عن ذلك من أسئلة: حرّيته ومسؤوليته واجتماعيته ومنظومة قيمه.

هذا الاستفهام هو مضمون الإشكالية التى تحرك تفكيرنا في هذه المداخلة، ونقف على جزئياتها تأصيلاً وتفصيلاً.

إشكالية المداخلة:

تتأسس إشكالية المقال على فرضية أن الذكاء الاصطناعى، هو العلم الذى يدرس إمكان زراعة الصفة العقلية فى الآلة. أى أنه العلم الذى يدرس أفعال الآلة التى تتطلب عقلاً أو ذكاءً Intelligence، بقصد تأهيله لأن يتأمن، ليكون بديلاً عن الإنسان.

هل يمثل الذكاء الاصطناعى بداية نهاية الإنسان المفكر الذى لا معنى ولا وجود ووظيفة لإنسانيته فى غياب العقل ودوره؟ هل يجعلنا "الذكاء الاصطناعى" أمام استنساخ علمى تكنولوجى

للكينونة البشرية؟ بمعنى هل نحن إزاء جهاز قد يحل محل الإنسان ليصير بديلاً عنه، ويتجاوزه ليفلت من سيطرته؟ ويكون أفضل من الإنسان؟

تتأسس إشكالية المقال على فرضية أن الذكاء الاصطناعي، هو العلم الذي يدرس إمكان زراعة الصفة العقلية في الآلة. أي أنه العلم الذي يدرس أفعال الآلة التي تتطلب عقلاً أو ذكاءً Intelligence ، بقصد تأهيله لأن يتأمن، ليكون بديلاً عن الإنسان.

هل يمثل الذكاء الاصطناعي بداية نهاية الإنسان المفكر الذي لا معنى ولا وجود وظيفية لإنسانيته في غياب العقل ودوره؟ هل يجعلنا "الذكاء الاصطناعي" أمام استنساخ علمي تكنولوجي للكينونة البشرية؟ بمعنى هل نحن إزاء جهاز قد يحل محل الإنسان ليصير بديلاً عنه، ويتجاوزه ليفلت من سيطرته؟ ويكون أفضل من الإنسان؟
1. من المفكر الطبيعي (الإنسان العاقل/ Homo sapiens) إلى المفكر الاصطناعي:

1.1.. سؤال الوجود و آفاق التحول:

تتجلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي على مستويين: مستوى المنجز التقني العملي الذي غطى مختلف مرافق الحياة الإنسانية (الطب، اللوجستية، الصناعات، التسيير الاقتصادي، معالجة اللغات الطبيعية، تداول الأسهم في الأسواق، الأنظمة الأمنية في تحليل الصور وتمييز الأصوات...) ومستوى النشاط النظري، المحاكى للذكاء البشري في فعالياته وأفعاله الإدراكية (كالتعقل والاستدلال والبرهنة، الإدراك الحسي، الربط بين الأفكار، التنبؤ والبرمجة والتخطيط، والتحكم الحركي...)¹

الإشكال الذي يثار عند هذا الأفق؛ أفق تقليد الإنسان تفكيراً وسلوكاً، هو إشكال يتحدد بثنائية: الوجودي والقيمي، وهو إشكال فرضه مستوى التطور الذي بلغه في المرحلة الراهنة، والمتمثل في انتقاله من ذكاء اصطناعي مضبوط ومؤطر وموجه بالإرادة الإنسانية، إلى ذكاء اصطناعي مستقل ومنفصل. وهو انتقال وتحول/ تطور قلص من مساحة الحد الفاصل بين الطبيعي (الإنساني) والاصطناعي (التقني) إلى الحد الذي مكن ل الإحلال محل التقليد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الذكاء الاصطناعي مر بثلاث مراحل في مسار تطوره: 1. مرحلة الاستعمال والاستغلال وهي مرحلة الإرهاصات

1. مارجریت إيه بودین، (2022)، "الذكاء الاصطناعي"، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، (د. ط.)، مؤسسة هنداوي، القاهرة،

والبدايات (المكننة، الأتمتة/ mécanique ; automatique) حيث تجسد في الأدوات والآلات المخترعة. وقد تجلى دوره في توفير الجهد واختزال الوقت والدقة والفعالية في إنجاز العمل كالألة الحاسبة مثلا والحاسوب، "والأجهزة المؤتمتة (automatisation) التي تعمل بدفع آلي ذاتي، وفي أجهزة التعلم الذاتي، وفي الروبوتات المميكنة، وفي الكمبيوترات المتبصرة في مساراتها التدقيقية، وفي السيارات والمركبات والناقلات المستقلة الحركة، وفي الأنظمة اللغوية الرقمية المجردة، إلخ..."²

وقد اتسمت هذه المرحلة بالتسخير والتوجيه والسيطرة والتحكم. وفي هذه المرحلة تنبأ العلماء بتطوره إلى مستوى محاكاة الذكاء الإنساني، ف "قيل إن الذكاء الاصطناعي سيبلغ مستوى ذكاء الإنسان"³. وقد تحققت هذه النبوءة بالفعل. 2. مرحلة التقليد والمحاكاة، والمتمثلة في النشاطات النظرية المناظرة للعمليات الذهنية الإنسانية. والتقليد، هنا، تنطبق عليه قاعدة خضوع الغالب للمغلوب في مرجعيتها التصورية والسوسيولوجية الخلدونية. حيث بقي الذكاء الاصطناعي خاضعا لإرادة الإنسان ووعيه وقيمه، فهو مجرد آلة وبرنامج متحكّم فيه. وقد تجلت مرحلة التقليد باكتشاف الروبوتات، حيث "إن كثيرا من أبحاث الروبوتات أجريت بطريقة المحاكاة"⁴، والتي بلغ فيها التقليد منتهاه مع اكتشاف الروبوت «لامدا» (Lambda)⁵ الفائق الذكاء والذي شكل عتبة فارقة وفاصلة بين

². مشير باسيل عون: "الذكاء الاصطناعي يهدد إنسانية البشر ويفرض ثقافة أخرى".. بحثاً عن الاختلاف النوعي بين الوعي الإنساني وهذا التكون المعرفي المصطنع.. <https://www.independentarabia.com/node/354316/>. الجمعة 22 يوليو 2022، 18:52

³. مارجریت إيه بودین: "الذكاء الاصطناعي"، مرجع سابق، ص: 131.

⁴. مارجریت إيه بودین: المرجع نفسه، ص: 98.

⁵. عن تفاصيل الروبوت «لامدا» فيما يتعلق بقدرته على محاكاة الكائن البشري إلى حد الندبة من حيث قدرته على الإدراك والتعبير عن المشاعر؛ يقول عنه "بليك ليموين" الذي اكتشفه وطور برنامجه (وهو المهندس المختص في أنظمة الذكاء الاصطناعي لدى غوغل): «لولم أكن أعلم يقينا أنه برنامج حاسوب، قمنا بتطويره أخيرا، لا اعتقدت أن الربوت طفل ذو سبع أو ثمن سنوات، على دراية بقواعد الفيزياء». وفي نفس السياق كشف لصحيفة "واشنطن بوست": "أن "لامدا" كان يناقشه حول أحقيته أن تتم معاملته ك "بشري". وقد قام مطور هذا البرنامج بليك ليموين بتقديم دلائل لغوغل (google) على تصريحه عن هذا التطور المذهل من خلال تقديم محادثاته مع الربوت "لامدا"، حيث قال هذا الربوت: «طبيعة الوعي لدي تتمثل في أنني مدرك تماما لوجودي. أرغب في أن يعلم العالم كله، ويعلم أي أشعر بالسعادة والحزن». وكان رد فعل غوغل (google)؛ هو نفي أن يكون لهذا الربوت أي أحاسيس، قائلة: إن الأدلة لا تدعم مزاعم ليموين. حيث صرح في هذا السياق متحدث باسم غوغل (google)، هو "بريان غابرييل" قائلا: «قام فريقنا، ومن ضمنه علماء الأخلاقيات والتقنيون بمراجعة مخاوف بليك وفقا لمبادئ الذكاء الاصطناعي الخاصة بنا، وتم إبلاغه أن الأدلة لا تدعم مزاعمه، وقيل له؛ أنه لا يوجد دليل على أن "لامدا" كان واعيا». مصدر الاقتباس: فيديو يوتوب

الذكاء في منبته الطبيعي (الإنساني) والذكاء الاصطناعي في مختبره العلمي التكنولوجي. حيث "لم يمض وقتٌ طويل حتى تحوّل ... إلى الذكاء الاصطناعي الخارق. ستمتع الأنظمة بذكاء يمكّنها من نسخ نفسها؛ ومن ثمّ يتفوق عددها على عدد البشر، وأن تحسن نفسها؛ ومن ثمّ يتفوق ذكاؤها على ذكاء الإنسان"⁶. وهي عتبة مهدت لـ 3. مرحلة الإحلال/ الاستنساخ. وهي المرحلة الأفق الآلي للإنسان/ أو الإنسان الآلي، وهو الأفق الذي فرض عليه، وانتصب كتحدٍ لوعيه وإرادته واختياره وحلمه، أي لوجوده كإنسان، بحيث تتعطل إنسيته لتصير الآلة التي اخترعها هي (الإنسان)، فيتجسد هذا الأفق في صورة واقع جديد؛ هو واقع "تأليل الإنسان وأنسنة الآلة، تجاوزاً للمسلمة الأنطولوجية والقيمية لكيقونة الذات البشرية في مرجعيتها الأرسطية، والتي مفادها أن "الإنسان أفقه الإنسان". حيث أصبح الذكاء الاصطناعي على وشك الاستقلال التام عن إرادة الإنسان وتجاوز سلطة وعيه وقيمه الأخلاقية والاجتماعية، ومن ثم الاستغناء عنه والإحلال محله في تحقيق متطلبات الحياة الاجتماعية، وقد تجلّى هذا الاستغناء والإحلال في نشاط الروبوتات فائقة الذكاء، حيث "أصبحت أكثر استقلالية؛ ففكرة الآلات التي يتحكم فيها الكمبيوتر، والتي تواجه القرارات الأخلاقية، تنتقل من عالم الخيال العلمي إلى العالم الواقعي. وتشارك معظم هذه الروبوتات الجديدة في ميزة أساسية: حيث أصبح من الممكن تقنياً، ومن خلال الروبوتات، الاستغناء عن الإنسان لاتخاذ القرارات على المستويين التشغيلي والأخلاقي. وفي ضوء هذا يمكن أن يتغيّر دور الإنسان من صانع القرار إلى مشغّل القرار، ويراقب الروبوتات في عملها عوضاً عن التحكم بها"⁷. والروبوتات إذ تتأمن من خلال استقلالها وتقلتها من سلطة الإنسان وتوجيه لها، ومن ثمّة الإحلال محله، فإن أنسنتها لا تقف عند حد ممارسة النشاطات العقلية النظرية، بل تتعداها إلى البعد القيمي الأخلاقي، حيث تتفلسف من كل ما هو مألوف ومتداول في المنظومة الأخلاقية التي أسسها الإنسان استناداً إلى مرجعيته الدينية والعقلية والاجتماعية والثقافية الحضارية، وتبرمج أخلاق بديلة تخلو من نزوعها الإنساني الطبيعي. وهنا مكمن الخطورة والتحدّي. وأمام هذا التحدي؛ "بات العلماء يخشون تجاوز الحد الفاصل بين الذكاء

(YouTube) بعنوان: «الروبوت "لامدا" .. حقيقة "طفل غوغل" المعجزة». وهذا ربط الفيديو:

<https://www.youtube.com/watch?v=O0c7J0fv3oY>

⁶. مارجریت إيه بودين: المرجع نفسه، ص: 131.

⁷. بريدوتي روزي، (نوفمبر 2021) "ما بعد الإنسان"، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة، العدد

488، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص: 58.

الاصطناعي الخاضع المضبوط، والذكاء الاصطناعي المستقل المتفلسف من كل سيطرة إنسانية أخلاقية⁸

وما يعزز فرضية الاستقلال و"الإحلال" على سبيل التحقق، هو قول نائب الرئيس التنفيذي في شركة "الميكروسوفت" هاري شوم (Harry Shum) بتفوق الذكاء الاصطناعي مقابل الحماسة الطبيعية. حيث صرح بأنه: "من الأكيد أنه ينبغي أن نحب الذكاء الاصطناعي! بعد النظر في كل الأمور، نسأل: ما نقيض الذكاء الاصطناعي؟ الجواب: الحماسة الطبيعية"⁹. وهو جواب يكشف في نظره. عن أن المستوى الفائق في درجة (التفكير) التي بلغها الذكاء الاصطناعي في مسار تطوره، لم ترق به إلى مستوى الإحلال محل الذكاء الطبيعي (الإنساني) على سبيل الندية فقط، بل إحلال على سبيل التجاوز والتحدي له، إلى الحد الذي أصبح فيه الذكاء الإنساني حماقة مقارنة بالمستوى الفائق الذي بلغه الذكاء الاصطناعي. أي أنه لم يعد للقوة الناطقة/المفكرة في الكائن البشري فاعلية. فالإنسان الذي وجد. وُحِدَ بفصله النوعي. مفكراً في خلقه ومبتدأ نشأته (Homo sapiens)؛ عرف تحولاً في مسار تاريخ وجوده إلى مرحلة "الحماسة الطبيعية" فأصبح في وضعية "الإنسان الآلة"، في زمن صيرورة الآلة إنساناً. ولم يقف الأمر عند حد أنسنة الآلة، بل تعداه إلى المساس بطبيعة ومصير الوجود الإنساني، فالذكاء الاصطناعي إذ يعمل على الإحلال محل الإنسان، فالإحلال معناه هنا الإزاحة والانتهاء لفاعلية الإنسان المعرفية والوجودية، ولذلك ف"أن التكنولوجيا لن تعمل في المستقبل على تغيير العالم الخارجي فحسب؛ بل ستوفر أيضاً إمكانيات لتغيير الطبيعة الإنسانية"¹⁰.

هذا عن الإنسان في موجوديته العاقلة التي حاصرها الذكاء الاصطناعي، فماذا عن مصير اجتماعيته في ظل هيمنة الآلة الإنسان/ الذكاء الاصطناعي الذي افتك منه وظيفته العقلية؟ فهل بات من الممكن أن تحقق الكينونة الاجتماعية للذكاء الاصطناعي.

إن فرضية إحلال الذكاء الاصطناعي محل الذكاء البشري؛ تؤسس لسؤال إمكانية التفكير (الاصطناعي)، فهل تستطيع الآلة أن تفكر؟ وهو السؤال الذي طرحه عالم الرياضيات مؤسس

⁸. مشير باسيل عون مفكر لبناني المرجع السابق. /<https://www.independentarabia.com/node/354316>.

⁹. مشير باسيل عون مفكر لبناني المرجع انفسه. /<https://www.independentarabia.com/node/354316>.

¹⁰. بوستروم، نيك، (2019)، "ما فوق الإنسانية: دليل موجز إلى المستقبل، ترجمة: ياسر عبدا لواحد راشد، مراجعة وتقديم: حيدر عبد الواحد راشد، بغداد: دار سطور، ص: 255.

المعلوماتية العلمية البريطاني الأن تورينغ (1912-1954). والتساؤل عن إمكانية التفكير اصطناعياً/ آلياً لم ينبثق من افتراض ناتج عن خيال علمي، بل تبلور واستمد مبرر إثارته من معطى تكنولوجي واقعي تمثل في القفزة لجسارة التي حققها الذكاء الاصطناعي سنة 2017 تحديداً، حيث توصل إلى إمكانية فك رموز الكلمات المتداولة في المحادثة، قياساً على عملية إدراك معاني المفردات المستخدمة في الكلام التي يقوم بها العقل الطبيعي (الإنساني). وهذه الإمكانية التعقلية الإدراكية للذكاء الاصطناعي تفتح الاحتمال نحو تجاوزه للوضعيات الآتية الإجرائية التقنية التطبيقية، إلى تحقق أفق الكينونة المفكرة (أنسنة الآلة)، وهو تجاوز يعجل بالإجابة عن السؤال السابق، وهي أن الآلة تستطيع أن تفكر، وأنها تتجاوز قدرات الإنسان في ذلك. وحجة أنصار هذا التوجه في صحة ومصداقية هذا (الموجود الاصطناعي العاقل)؛ هو المنجز الأخير الذي حققه الذكاء الاصطناعي، "حين تخطى قدرات الإنسان في امتحان القراءة الذي أجرته جامعة ستانفورد في عام 2018، بحيث تمكن من أن يتفاعل والكائنات البشرية تفاعلاً فطناً صائباً جعله يزودنا المعلومات الضرورية المفيدة في صورة طبيعية عفوية ملائمة"¹¹. ويتحقق هذه الإمكانية التعقلية للذكاء الاصطناعي وتفوقه على الذكاء البشري؛ يثار وينتصب في أفق التفكير سؤال مصير الإنسان (الكائن العاقل)، فهل نحن نعيش مرحلة "موت الإنسان" قياساً "موت الإله"؟

2. جدل أنسنة الذكاء الاصطناعي بين رهان «التفكير» وتحدي «الوعي»:

إذا ثبتت قدرة الروبوتات على القيام بعمليات عقلية ترقى إلى مستوى التفكير البشري، مما يؤهلها لاستنساخ صفة "التأنس" وتمثلها بحيث يتحقق ما يسمى بـ "الآلة الإنسان" أو الإنسان الآلي/ الاصطناعي بديلاً عن المخلوق البشري، فإن إنسية الإنسان إذ تتحقق بالتعقلية المحددة لفصله النوعي كوجود بشري (بوصفه كائن عاقل)، فهي مرتبطة بنيويًا ووظيفيًا بما هو وجداني وأخلاقي واجتماعي في كينونته: فهو يدرك بعقله حقائق الأشياء الموضوعية والتصورات المجردة، ويطلع على أحواله النفسية والروحية، ويميز بين ما هو حسن وقبيح في المواقف والتصرفات، ويحقق اجتماعيته التي تخص طبعه. وجماع هذه العمليات والفعاليات العقلية في مستوياتها الإدراكية والوجدانية والروحانية والقيمية الخلقية والاجتماعية؛ هو «الوعي»، وبالتالي فإن مبتدأ الإدراك العقلي ومنتهاه هو الوعي الذي يمكن الذات من معرفتها لذاتها وما يحيط بها، ولذلك؛ فهو أوسع وأشمل من الإدراك والإحساس وأشمل منهما. ومن ثمة فإن الذكاء الاصطناعي إذا استطاع أن يقوم ببعض العمليات الإدراكية والنشاطات الفكرية؛ قد تتفوق في سرعة أدائها عن الذكاء الإنساني، فإنه لا ولن يستطيع أن يرقى إلى مستوى "الوعي" بما يقوم به من ممارسات فكرية وتقنية. لأن جوهر الوعي روحاني، وبما هو كذلك؛ فهو موصول بـ "الأنا

¹¹. مشير باسيل عون المرجع السابق.

الميتافيزيقي لـ "الإنسان" وممتد إلى ما هو نفساني وجداني ومتمظهر فيما هو موضوعي خارجي، وهو ما أكد عليه مارجریت إيه بودین في كتابه: "الذكاء الاصطناعي" بقوله: "أن الوعي المدرك بالحواس مختلف، الأحاسيس (مثل الحزن أو الألم) أو الكيفيات المحسوسة. ووجود الكيفيات المحسوسة في عالم مادي أساساً لغز ميتافيزيقي معروف أنه مستعصي¹². وتأسيساً على ذلك فلا سبيل ولا إمكانية لأن يتأسس الذكاء الاصطناعي ولن يكون بديلاً عن الإنسان بل يبقى أداة في يده وخاضع لسيطرة وعيه. فإذا أمكن له أن يقوم بعمليات فكرية؛ فلا يمكن له أن يعي بما يفكر ويفعل. وكإجابة على السؤال الذي طرحه عالم الرياضيات البريطاني الآن تورينغ (1912-1954): هل تستطيع الآلة أن تفكر؟ فإن الذكاء الاصطناعي كآلة لا يستطيع أن يفكر، لأن فعل التفكير مشروط ومسبوق ومؤطر بالوعي وحتى إن أمكنه أن يقوم ببعض العمليات الإدراكية. كدليل على التفكير. شبيهة بتلك التي يقوم بها الإنسان، فهي عمليات آلية ناقلة لصور من التفكير مخزنة في برنامج آلي وليست تفكيراً حيوياً أصيلاً مباشراً، والدليل على ذلك؛ أننا «عندما نسأل الروبوت عن اعتراضاته على هذا الفيلسوف أو ذاك، فإنه ينقل اعتراضات سواه، أي مما يختزنه من معلومات، ولكنه لا يضيف شيئاً من عنده. فهو لا يفكر؛ لأن ما ينقصه هو الوعي والإرادة أو القصد والنية أو المرونة والحيوية". ومن ثمة، فالذكاء الاصطناعي كائن آلي غير قابل لأن يتأسس، لأن تقاسم الأنسنة أو افتكاكها غير ممكن بتمثل الفعل الإدراكي الصرف، فالكينونة الإنسانية بنية مركبة مما هو عقلي ووجداني وروحاني، وهي المكونات والخصائص الأنطولوجية الحيوية المتعالية الغير قابلة للمحاكاة والاستنساخ/ التآليل (من الآلة)، ولذلك، "فالروبوت لا مشاعر عنده. هو ذكي بقدر ما نحسن برمجته وقولبته. إنه كائن حساني، إحصائي، أكثر مما هو كائن عاقل، سوي، يملك القدرة على التروي والتبصر"¹³ الذي يرتبط أساساً بـ «الوعي»، الذي خاصية نوعية إنسانية خالصة غير قابلة للاستنساخ، والبرمجة الأوتوماتيكية. وخصوصيته الإنسانية مردها إلى خضوعه لنظام بيولوجي شديد التفاعل والتعقيد، تتشابه فيه الأبعاد الجسدية والنفسية والروحية، وهي أبعاد خلقية طبيعية التي يستحيل تحققها اصطناعياً. وعليه؛ فقد "يستطيع الذكاء الاصطناعي أن يحل محل الذكاء البشري (الإدراك)، ولكنه لن يقوى على الحلول محل الإحساس (الوجدان) المرتبط بالجسدية الإنسانية، ومحل التناول الجامع الشمولي (الوعي) الذي يتطلب تناصر مجموعة من

¹². مارجریت إيه بودین: "الذكاء الاصطناعي"، مرجع سابق، ص: 111.

¹³. علي حرب: "المشروع والبرنامج: مشكلة الروبوت، مقال ضمن ملف: الذكاء الاصطناعي: صدام الأدمغة في مجلة [الفصل](#) ،

رابط المقال: <https://www.alfaisalmag.com/?p=34276>. نوفمبر 1، 2023.

العناصر الجسدية العضوية والدماعية العصبية لا يحتوي عليها الذكاء الاصطناعي في الجهاز الروبوتي المؤتمت¹⁴.

والوعي بمعطياته ومستلزماته الجسدية والنفسية والروحية، ينعكس ويتجلى في سلوكيات الفرد الإنساني وفي علاقاته الخارجية، أي يتجسد في اجتماعيته التي تخص طبعه بما هو "كائن اجتماعي بطبعه"، والانخراط في المجتمع يتطلب الحضور الجسدي الذي يوجهه ويؤطره الوعي من خلال ربط التصرفات والعلاقات بالقيم الخلقية والروحية التي يستحضرها الوعي انطلاقاً من الإحالة إلى المرجعية المؤسسة لها (دينية، عقلية، اجتماعية...). ف «الوعي» إذن، يستدعي المطلب الجسدي لتحقيق اجتماعية الإنسان في الواقع الحياتي. والجسد استناداً إلى التخرّج الفلسفي الفينومينولوجي المعاصر، امتداد الوعي المتجلى في المنظورية العلائقية الخارجية. وتأسيساً على هذا التلازم الشرطي بين ثنائية "الوعي" والجسد" في تحقق الطبع الاجتماعي، فإن الذكاء الاصطناعي لا يمكنه امتلاك الخاصية الجسدية في معطياتها وأبعادها البيولوجية والنفسية والروحية لكي يحقق المقتضى الاجتماعي لوجوده وفاعليته، وبالتالي لا يمكنه أن يحل محل الكائن البشري على مستوى الوعي. ولهذا "يصير عالم الاجتماع البريطاني هاري كولينز (1943)، في كتابه "الخبراء الاصطناعيون: المعرفة الاجتماعية والآلات الذكية" (Artificial Experts. Social Knowledge and Intelligent Machines)، على أن الذكاء يتطلب انتساباً عضوياً إلى اجتماع إنساني ناشط بين كائنات تعي جسديتها وعياً تفاعلياً¹⁵. وعملية الانتساب هذه غير ممكنة التحقق، طالما هذا الإمكان مشروط بالوعي في تحقيقه الجسدي؛ إدراك وإحساساً وتوجيهاً وتفاعلاً مع ردود أفعاله. وإذا كانت عملية الانتساب تتم من خلال حركة الجسد في شبكة العلاقات الاجتماعية بفعل تأطير الوعي وما يستدعيه ويستحضره من قيم ومعايير ضابطة لهذه الحركة (سلوكات، مواقف...) بما يتوافق والحس الجمعي المشترك والثقافة السائدة والنظام الاجتماعي القائم، فإن الجسد بهذه الخصوصية الوجودية وبهذا الاشتراط القيمي المشدود إلى الوعي لا يملكه إلا الإنسان. فهو (أي الجسد) واقعة بيولوجية يتمظهر من خلالها الوعي خارجياً/ اجتماعياً بالمعنى الفينومينولوجي، وبالتالي فإن الآلة التي يتحقق من خلالها برنامج الذكاء الاصطناعي لا تمتلك الصفة الجسدية التي تؤهلها للانتساب الاجتماعي لكي تكتمل أركان أنسنتها، بحيث تكون بديلاً عن الإنسان بما

¹⁴. مشير باسيل عون المرجع السابق.

¹⁵. نقلاً عن: مشير باسيل عون: "الذكاء الاصطناعي يهدد إنسانية البشر ويفرض ثقافة أخرى" .. بحثاً عن الاختلاف

النوعي بين الوعي الإنساني وهذا التكون المعرفي المصطنع، مرجع سابق، الرابط:

<https://www.independentarabia.com/node/354316/>

تقتضيه الأنسنة من جوامع الوعي كالإدراك العقلي، الشعور النفسي والأخلاقي، الإحساس الجسدي. فالطبع الاجتماعي خصيصة المخلوق البشري على سبيل التميز والتفرد.

فالوعي، إذن، هو المحك والرهان لأنسنة الذكاء الاصطناعي، وإذا كان العلم المعاصر بالمستوى الذي بلغه على مستوى البرمجيات الحاسوبية؛ قد مكن من تطوير مشروع الذكاء الاصطناعي إلى المرتبة التي تؤهله للقيام بنفس العمليات الفكرية التي يقوم بها الإنسان، فإنها تبقى محصورة في الآليات العقلية الصرفة كالاستنتاج والمقارنة والبرهنة... فإنه لم يمكنه من اكتساب خاصية ووظيفة الوعي وتمثلها التي هي أوسع وأشمل من الإدراك العقلي. والذكاء الاصطناعي بعدم إمكانية بلوغ مستوى الوعي تبقى محاولة أنسنته يائسة، ومهما تمثل أفعال الإنسان يبقى مجرد آلة يوجهها الذكاء الإنساني، ولذلك كان وسيبقى رهان الوعي أكبر تحدي أمام العلماء لتحقيق الأفق الإنساني للذكاء الاصطناعي. "ولأن الوعي عزيز ولا يقدر بثمن، يحاول العلماء في جميع الأصعدة العلمية أن يخلقوا جهازا يستطيع تخليق وعيه ذاتيا (ذكاء اصطناعي). ولكن ترى كثير من المحافل العلمية عدم إمكانية تحقيق هذه المحاولة، لأن الوعي الذاتي هو خاصية مقتصرة على الكائن الحي"¹⁶. وعلة ذلك؛ أن ظاهرة الوعي مسألة حيوية روحانية تفلت من قبضة العلم المادي التجريبي الذي يتعامل بمقتضى طبيعة بنيته ومنهجه. مع الوقائع المحسوسة أو المعقولة الموصولة بما هو حسي. ولذلك؛ فإنه إذا تمكن الذكاء الاصطناعي من أن يقلد الإنسان بافتكاكه العقل والتعقل، فإنه عاجز عن افتكاك ما هو أسمى في أنسية الإنسان وهو الوعي، حيث إن "قضية الوعي خلاف قضية العقل الرياضي، فالحاسوب مبرمج برمجة رياضية لا برمجة شعورية، وهذا دليل على أن العقل خلاف الوعي، أي أن الوعي حالة خاصة. فالوعي بقدر ما هو مرتبط بالعقل مرتبط بالروح/ النفس أو بالكيان الحسي الكامل للإنسان(الوجدان)¹⁷. وحتى إذا قدر للإنسان الآلي أن يفكر من خلال امتلاكه للعقل، فإن التفكير ليس نشاطا عقليا مستقلا، بل هو مرتبط بالوعي وامتداد له، والنشاطات النظرية التي يقوم بها هذا الإنسان الآلي، وإن كانت توحى بما هو من صميم التفكير، فإنها ليست فعلا تعقليا واعيا، لأن: "خاصية التفكير خاصة وجدانية متداخلة ساهمت في إيجادها خصائص الإنسان البيولوجية والنفسية، بمعنى أن عملية التفكير ليست عملية خالصة"¹⁸.

¹⁶. عادل المعولي، (2016)، "لماذا تقدم العلم وتأخر العقل"، ج2، ط1، دار سؤال للنشر، بيروت، لبنان، ص: 91.

¹⁷. المرجع نفسه، ص: 92.

¹⁸. المرجع نفسه، ص: 93.

والذكاء الاصطناعي كمنتج للبرمجيات الحاسوبية، فإن هذه الأخيرة تعتمد في عملها على العلوم الفيزيائية والرياضية التي تتعامل مع "العقل" بالمعايير التجريبية المادية من خلال نشاطات الدماغ والمناطق المسؤولة فيه عن عمليات الإحساس والإدراك والتذكر والانتباه، والتعرف...وهي عمليات ذهنية خالصة يمكن محاكاتها وبرمجتها آلياً من خلال الروبوتات. أما ظاهرة "الوعي"؛ فتتجاوز ما هو ذهني ذي الصلة بما هو مادي، هي ظاهرة روحانية منفصلة ومتجاوزة للإمكان العلمي التجريبي. ولذلك، فإن الروبوتات المخترعة إذ يقتصر ذكاؤها الاصطناعي على الرموز الحسابية والبرمجيات الحاسوبية؛ بإمكانها القيام بنشاطات عقلية بطريقة آلية مبرمجة، لكنها لا تستطيع أن تحل محل الوعي الإنساني الذي لا تخضع عملياته الإدراكية والإحساسية لقوانين الفيزياء الكلاسيكية. وفي هذا الإطار "يعلن عالم الرياضيات فيلسوف العلوم البريطاني رودجر بنروز (1931)، في كتابه "ظلال الذهن" (Shadows of the Mind. A Search for the Missing Science of Consciousness)، أن القوانين الفيزيائية المعروفة تعجز اليوم عن تفسير ظاهرة الوعي، ذلك أن النظام الفيزيائي المبني على ثنائية صفر/واحد أو ثنائية الظهور الناشط/الانحجاب المنطفي (on/off) نظام مقيد بحتمية آلية لا تناسب حيوية الوعي المتفعل من كل معادلة حسابية أو منطقي استدلالية معصوم"¹⁹.

ومن ذلك يتبين أن "الوعي" هو العتبة الفارقة والفاصلة بين الذكاء الإنساني والذكاء الاصطناعي، وبالتالي فإن الروبوتات الفائقة الذكاء وإن استطاعت أن تحاكي الذكاء البشري في بعض العمليات العقلية فهي محاكاة مبنية على معادلات خوارزمية محددة وحتمية المسار، لا يمكن أن تبلغ مستوى الندية أو تتجاوز للقدرة الذكاء البشري. ويبقى الإنسان متفوقاً بامتلاكه لخاصية الوعي الذي يتجاوز كل منطق حسابي صوري. ولا يخضع للقوانين الفيزيائية والبرمجيات الحاسوبية. وتجدر الإشارة هنا؛ إلى "الوعي" هو أعلى مراتب الذهن البشري، بحيث يأتي "الإدراك" في المرتبة الأولى و"الوجدان" في المرتبة الثانية. وعن أهمية هذه التراتبية الثلاثية في كشف محدودية الذكاء الاصطناعي في تجاوزه للذكاء الإنساني يقول أحد الباحثين أنها: "تساعدنا في تعيين طبيعة العمل الذكائي الاصطناعي. أعتقد أن الروبوتات الذكية ستتجاوز مرتبة الإدراك في القريب من الأزمنة. أما مرتبة الوجدان ومرتبة الوعي، فلا أستطيع الجزم في شأن تجاوزهما، إذ تقترنان اقتراناً وثيقاً بطبيعة

¹⁹. نقلاً عن: مشير باسيل عون: المرجع السابق.

المراس الوجودي الأعمق الذي يختبره الإنسان في جسديته المنغرس في صميم التواصل الإنساني²⁰.

3. في السبيل إلى مواجهة مخاطر الذكاء الاصطناعي التي تهدد الوجود الإنساني:

اللافت للنظر في التطور الذي بلغته تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، أنها اتخذت بعداً أنطولوجياً تمثل في تهديد الوجود الإنساني بدل خدمة متطلباته وتعزيزه، كما أنها حولت ظاهرة الصراع بما هو سنة تاريخية وحضارية من صراع بين الإنسان والإنسان إلى صراع بين الإنسان والآلة، يتجه إلى التأسيس لما بعد الإنسانية، أو نهاية الإنسان الذي ظهر في بدء تاريخه مفكراً (Homo Sapiens)، واستمر في مسار صيرورته كذلك، ليقترّب مصيره من مآل التآليل (من الآلة). وقد تنبه وتنبأ هيدجر بهذه النهاية المأساوية للوجود الإنسان بفعل سطوة الآلة التكنولوجية، ف "اتخذ الاهتمام بالتكنولوجيا بعداً أنطولوجياً عنده، حيث يرى أن التكنولوجيا المعاصرة تتحدى الطبيعة وتدمرها وتسلبها ما تنطوي عليه من طاقات يمكن تخزينها ونقلها؛ الأمر الذي ينعكس بالسلب على الإنسان، ويخلق علاقة متوترة بين الوجود الإنساني وبين الآلة أو التكنولوجيا"²¹.

لحد من مخاطر الذكاء الاصطناعي وتهديده للوجود الإنساني، وتطويره وتوجيهه بما يعزز إنسانية الإنسان يتوجب إخضاعه إلى الأخلاق، أي التفكير في سن "أخلاقيات الآلة"، فهي "جزءاً من أخلاقيات الذكاء الاصطناعي المعنية بإضافة أو ضمان السلوكيات الأخلاقية للآلات التي صنعها الإنسان، التي تستخدم الذكاء الاصطناعي... فتعني بضمان أن سلوك الآلات تجاه المستخدمين من البشر، وربما تجاه الآلات الأخرى أيضاً، مقبول أخلاقياً. الأخلاقيات التي نعنيها هنا إذن هي أخلاقيات يجب أن تتحلى بها الآلات كأشياء، وليس البشر كمصنّعين ومستخدمين لهذه الآلات"²². وضرورة الحاجة إلى أخلاق الذكاء الاصطناعي للحد من تأثيراته السلبية على الوجود الإنساني والحياة الاجتماعية التي ينخرط فيها، دليل على غياب الخاصية الإنسانية. بما تتحدد به من بعد توعوي وما يستبطنه في بنيته من مكونات ومعطيات روحانية ووجدانية وقيمية. واستحالة تحققها في وجوده

²⁰. مشير باسيل عون المرجع السابق، نفس الرابط.

²¹. الجزيري مجدي، (2001)، "الفلسفة بين الأسطورة والتكنولوجيا"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

ص: 248.

²². د. عثمان، صلاح: نحو أخلاقيات للآلة.. تقنيات الذكاء الاصطناعي وتحديات اتخاذ القرار، مقال منشور في (المركز

العربي للبحوث والدراسات)، متاح على (<http://www.acrseg.org/43003>). بتاريخ الخميس 14 يوليو 2022.

المصنّع المصنّع. والقائمون على تصنيعه وإعداده وبرمجته للتأمن تفكيراً وسلوكاً راهناً. ويؤمنون على ذلك؛ من خلال إكسابه خاصية التعقل والتفكير حتى يصير إنساناً (آلياً) متجاوزاً في قدراته النظرية والعملية للإنسان الطبيعي، إلا رهانهم أخفق لحد الآن في وصل وربط عقلهم الآلي الذي أبدعوه؛ بالأساس الميتافيزيقي في بعده الروحاني، والمعطى الشعوري الوجداني في مكونه النفساني الداخلي، ومما يعني ويفيد ألا وجود ولا وظيفة أو فعالية لعقل اصطناعي مجرداً من أبعاده الروحانية والوجدانية والحسية، وهو ما يفضي إلى حتمية الاصطدام بحقيقة أن العقل خاصية خلقية إنسانية خالصة، منفردة ومتمفردة. ومن ثمة؛ فإن غياب هذه الأبعاد التأسيسية المؤطرة للعقل المصنّع المبرمج (الذكاء الاصطناعي) تجعل نشاطه النظري وممارسته العملية منفلتين من كل ضبط وتوجيه أخلاقي، وبالتالي؛ فلا إمكانية للتعقل من دون أخلقة، ولا إمكانية لأنسنة الآلة في غياب قدرتها على أخلقة نشاطها. فالإنسان إذ يتحدد مفهوماً ووجودياً بأنه "كائن عاقل" فمقتضى ذلك؛ أنه "كائن أخلاقي"، و"اجتماعي" بطبعه. ولذلك؛ ف"نحن بحاجة، كما يقول د. صلاح عثمان، إلى أخلاقيات للتعامل مع الآلة، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، حتى نواجه تحديات اتخاذ القرار؛ فالتكنولوجيا بطبيعتها محايدة، أو هي، في حد ذاتها، سلاح ذو حدين، والاستعمال البشري لها هو الذي يحدد الأوجه، والأبعاد المختلفة في حياة البشر سواءً بطريقة إيجابية ببناء أو بطريقة سلبية هدامة". وهذه الحاجة إلى أخلقة الذكاء الاصطناعي هي التي كانت وراء ظهور «فلسفة التكنولوجيا» التي تهتم بالمسائل والقضايا والمشكلات العامة للتقنية والآلة، مما استدعى فتح المجال جديد هو «أخلاقيات الآلة». ويلخص المفكر علي حرب هذه الحاجة في قوله: "حاجة الروبو إلى فلسفة. فالحياة لا تستقيم بالأداة والرقم والمعلومة، من دون سقف رمزي تجسده المعاني والقيم أو القواعد والفضائل. ولا يعني ذلك العودة إلى الوراء، وإنما يعني أن نتحول عما نحن فيه، في مواجهة التغيرات والتحديات، بابتكار الجديد من المفاهيم والقواعد أو الأنماط والأساليب"²³.

4 ويبقى "الإنسان" أفقاً وجودياً للإنسان:

إذا مكنت تكنولوجيا علم الحاسوب والبرمجيات للذكاء الاصطناعي من تجاوز مستوى الأداء التقني الخدماتي إلى مرتبة ممارسة نشاطات نظرية (عقلية) من إدراك وتحليل وتركيب وتخطيط ... أهّلته للتشبه بأفعال الإنسان والقيام مقامه والنيابة عنه؛ وهي مرتبة التقليد والمحاكاة، فإن القائمين على تطويره يطمحون إلى تجاوز عتبة تقليده للإنسان والتشبهه بأفعاله إلى أفق صيرورته إنساناً مكتمل

²³ . علي حرب: "المشروع والبرنامج: مشكلة الروبو، المرجع السابق. رابط المقال:

<https://www.alfaisalmag.com/?p=34276>

الصفات والأركان الإنسانية في طبيعته وبنيته وتركيبته الاصطناعية الغير قابلة لـ "التطبعن" (من الطبيعة). إذا جاز لي استخدام هذا التوصيف. وبالموازاة مع بلوغه هذا الأفق الوجودي الإنسي الحالم، يتحول مخترعه ومطوره (الإنسان) إلى آلة، إنه أفق أنسنة الآلة وتأليل الإنسان، وقد عبر عن هذا الأفق الوجودي الموعود الفيلسوف الفرنسي بول فاليري (Paul Valery) بقوله: «كل إنسان هو في طور التحول

²⁴ ليصبح آلة، لا بل الأصح هو أن الآلة هي التي بصدد تطورها لتتحول إلى إنسان». وما يجدر التنبيه إليه عند هذا الأفق الوجودي المفارق والخارق لنظام الطبيعة، هو أنه إذا قدر لقوة ذكاء هذا الكائن الإنساني المصطنع أن تتطور إلى آفاق عالية ومتجاوزة لقدرة الذكاء الإنساني الطبيعي، بحيث يمارس كل النشاطات الذهنية والفعاليات النفسية والمواقف الاجتماعية المرتبطة بالكينونة الإنسانية على وجهها الإنساني الأشمل والأكمل، فلن يمكنه ذلك من التحول إلى إنسان مهما حل محله وتمثل أدواره. بل يبقى مجرد (كائن) آلي خاضع في أفعاله وردود أفعاله إلى برمجة موجهة وقاعدة بيانات مخزنة، إن هي أتلقت فقد ذكاه وتحول إلى غباء اصطناعي، وبالتالي فإن الادعاء والحلم بإنسيته ضرب من المستحيل وشطحة من شطحات الخيال العلمي، لأن ما هو طبيعي غير قابل للاستنساخ اصطناعيا، فكل هو اصطناعي فاقد لما هو طبيعي ابتداء. ولذلك؛ فإن الإنسان هو إنسان بالطبيعة، وتوصيف اسبينوزا له؛ هو "الطبيعة المطبوعة"/ المخلوقة (Nature Naturee) التي أخرجتها إلى الوجود "الطبيعة الطابعة"/ الخالقة (Nature Naturante). فهو بطبيعته المطبوعة مخلوق بالمعنى الميتافيزيقي الملكوتي للحقيقة الخلقية، وهو في وجوده الطبيعي كمخلوق بشري في ماهيته الإنسانية؛ يمكنه أن يتشبه بأفعال الإله إذا ترقى في مدارج الروحانيات العقدية والفضائل الأخلاقية، أي أنه بإمكانه أن يكون إنسانا ربانيا

²⁵ كما وصفه القرآن الكريم بذلك: "كونوا ربانيين كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون". وهذا الإمكان الوجودي للإنسان الرباني هو "الإنسان الإلهي" في إخراجته ونحته المفهومي الفلسفي الذي تكلم عنه الفلاسفة المسلمون (الفارابي، الغزالي، ابن باجة)، وهو "الإنسان الكامل" في تخريجه الصوفي الأكبري. وهو إذ يتشبه بأفعال الإله بحيث يصير ربانيا/ إلهيا/ كاملا، فإنه يبقى إنسانا، ولا يمكنه أن يتأله. والاعتقاد في تأليه الإنسان لم يحصل إلا في عالم الخيال الأسطوري، كما ذهب إلى ذلك هوميروس حينما اعتبر أن الالهة طائفة خاصة من البشر مزودون بسائل الخلود.

24 .Carmody, F. J. (1952). Les Cahiers de la Pléiade. Automne 1951 - Printemps 1952. Gallimard, Paris

25.قرآن كريم: سورة آل عمران، الآية: 79.

وقياسا على هذه اللازمة الوجودية (الإنسانية . الإلهية): فإن ما ينطبق على الإنسان في مجاهدته النفسية للتشبه بأفعال الله، بحيث يبقى إنسانا مهما تماهى في الحضرة الإلهية. في معناها الإشرافي الصوفي. ينطبق كذلك على الذكاء الاصطناعي، بحيث يبقى آلة (فاعلة ومنفصلة) مهما أتقن وبرع في ممارسة النشاطات (العقلية والنفسية والاجتماعية)، فيمكنه. من خلالها. أن يتأمن انطلاقا من تشبهه بفعاليات وأفعال الإنسان، لكنه من الاستحالة بمكان أن يصير إنسانا، أو أن يغيّبه ليقوم مقامه. فما ينطبق على التلازم الوجودي بين الخالق والمخلوق (الإنساني)، ينطبق على العلاقة الندية بين هذا المخلوق والكائن المصنوع المصنّع. ومتلازمة الخالق والمخلوق في ثنائيتها الملكوتية الناسوتية؛ تنطبق تماما على متلازمة المخلوق والمصنوع. حيث المخلوق/الإنسان في هذه الوضعية هو بمثابة الخالق/ المصنوع/ الآلة الذكية. وهذه الوضعية التي أجازت لنا الإحالة إلى مقولة "الإنسان الإلهي" في محاولة تشبهه بأفعال الله، لنثبت من خلالها إبطال فرضية ما يسمى "الإنسان الاصطناعي"، لتأكيد حقيقة أن الإنسان طبيعة مطبوعة، ولا يمكن أن تكون مصنوعة. فالمصنوع مهما حاول أن يتطبعن يبقى دون الفاعل الطبيعي، مختلف عنه ماهية ووظيفة. وخاضع لإرادته ولتوجيهه.

5. الإمكان الوجودي لـ "الإنسان الاصطناعي" وما بعد إنسانية الإنسان

5.1.. سؤال إعادة التعريف وإشكالية المعنى:

مع بلوغ التطور التكنولوجي في البرمجيات الحاسوبية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي عتبة صيرورته إنسانا، أو بتوصيف بول فاليري: طور تحول الإنسان إلى آلة والآلة إلى إنسان؟! تنتفض من عمق العقل وتنتصب في أفق التفكير؛ الأسئلة الفلسفية حول إعادة تعريف "الإنسان" في ظل الخلطة والاهتزاز الذي تتعرض له الثوابت والمكونات الوجودية لجنسه وفصله النوعي، والتي انتهت إلى لبس المعنى، وأزمة الماهية، وهددت بضياح الهوية، وهو اللبس والأزمة والضياح الذي يمهد لتغيّبه ونهايته، ومن ثم التأسيس لما بعده، لما بعد الذي يكتسح فضاءه ويتفرد في التموقع فيه الإنسان الآلي، ولا يبقى فيه الإنسان إنسانا، حيث يتحول إلى آلة في الوقت الذي كان يطح فيه أن يصبح أكثر إنسانية، تجسيدا للقاعدة الأنطولوجية. في تخريجها الأخلاقي النيقوماخي الأرسطي. التي مفادها أن "الإنسان أفضه الإنسان".

إن ثمة إحدائيتان علميتان تسهمان في تجريد الحقيقة الإنسانية من محتواها البيولوجي، وخصوصيتها الطبيعية العاقلة. تفرضان الحاجة إلى إعادة التعريف وخلق المعنى. هما: 1. التكنولوجيا الحيوية التي اختزلت حياة الإنسان في شفرة، "حيث يصبح جوهر الجسم عبارة عن معلومات، تحفز

26

لخلق جوانب جديدة ومحسنة ومصطنعة للحياة، بحثًا عن الإنسان الأفضل أو الأكثر إنسانية.²⁶ وهو الإنسان الآلي التي يراهن على تحقيق وتحقق نموذجها التطور التكنولوجي في علم المعلومات والبرمجيات الحاسوبية. و2. تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي الذي حوّل وظائفه العقلية المعرفية وتجاربه الوجدانية والاجتماعية إلى قاعدة بيانات تمكنه من تمثيل وظائفه وأدواره، ومزاحمة وجوده لافتكاك خاصيته الإنسية والإحلال محله.

واستنادًا إلى هذه الوضعية الوجودية والوظيفية المختزلة للإنسان في صورتها شفرة وقاعدة بيانات، يحصل التحول الجذري في الهوية والماهية المحددة لوجوده، "حيث إن" التداخل بين علم الأحياء وتكنولوجيا المعلومات يطرح تساؤلات عدة حول معنى أن يصبح الجسم البشري مجرد

معلومات، وكيف يمكن أن يحدد وجوده ويعاد تعريف وظائفه من خلال بيانات ومعطيات.²⁷ مما يفرض ضرورة إعادة تعريفه وتحيين معناه بما يتواءم مع مفهومه الجديد المواكب لشخصيته الآلية المخترعة. ومن ثم امتحان وفحص هذا المفهوم الجديد من خلال التساؤل عن مستقبل الإنسان الطبيعي وقدرة هذا الكائن الآلي الغريب على التأنس بما يمكنه من إزاحة وزحزحة نده الطبيعي؟ والإجابة الفورية التلقائية عن هذا التساؤل؛ هي أن هذا التعريف والمعنى الجديد للإنسان المخترع؛ لا يزال وسيبقى "يصطدم بتعريف تقليدي للإنسان، يرفض اختصاره في مجموعة معطيات حسابية وبيانية مكيفة في شكل خوارزميات، في مقابل صيحات علمية تتوق لما بعد الإنسانية أو فوق

الإنسانية.²⁸ واصطدامه بالتعريف المنطقي التقليدي للإنسان. والذي تتأسس منطقيته على البعدين الميتافيزيقي والطبيعي للوجود الإنساني. يسقط ويلغي الخاصية التعريفية له، كونه كائنًا آليًا عاقلًا ومفكرًا. حيث لا يلتقي التعقل والتفكير مع آلية الوجود (المفكر)، أي أن "الآلية" كخاصية من خصائص تعريف الإنسان الآلي الجديد، تصطدم وتتعارض مع جوهر الصفة الإنسانية ذاتها، فهي صفة تستبطن المعنى الخُلقي الطبيعي. وبالتالي فإن كل محاولة لإعادة تعريف الإنسان بما يفترض آليته، مآلها اللاتعريف. وبالتالي يسقط الرهان في إلحاق الصفة الإنسانية بالكائن الآلي المصطنع المخترع المصطنع تعريفًا وحيًا، فهذا الرهان هو محاولة بائسة يائسة للسطو على الإنسان وليس تجديدًا له. فهذا

²⁶. محمد الشياطي: "هل تبقى إنسانًا أو تصبح أكثر إنسانية؟ معنى الحياة في عصر الذكاء الاصطناعي"، | أخبار ثقافة

الجزيرة نت، (aljazeera.net). <https://www.aljazeera.net/culture> .2020/2/2

²⁷. محمد الشياطي: المرجع نفسه.

²⁸. المرجع نفسه.

الكائن الآلي الغريب والمغترب في الجغرافية الوجودية الطبيعية الإنسانية، إذ يراهن على إنسيته انطلاقاً من بنيته الآلية المظهرية (الروبوت) بحيث يمتلك جسدا اصطناعيا يقوم بنفس أفعال وردود أفعال الشخص الإنساني الطبيعي. ونشاطاته النظرية الإدراكية الناتجة عن افتكاك خصائص الدماغ ووظائفه الإدراكية والمعرفية والتي هي جوهر أنسنة الإنسان انطلاقاً من كونه كائن عاقل. ينتهي به رهانه إلى استحالة تحقيق الصفة الإنسانية حيازة وتعريفاً ومفهومة.

خاتمة:

ما يمكن استخلاصه من الفرضيات والطروحات الفلسفية والعلمية التي سقناها ووقفنا عندها في ثنايا الحركة الفكرية لهذه المداخلة؛ أن فرضية أنسة الآلة ضرب من الخيال والحلم الوهبي، وأن ما هو آلي لا يمكنه اختراق الطبيعي ليتطبعن، والتحدي الحاسم لاستحالة هذا الإمكان وسقوط هذا الرهان؛ هو "الوعي"، فالوعي هو العتبة الفاصلة بين الطبيعي والاصطناعي. فإنسية الإنسان لا تختزل في القوة العاقلة فيه، والتي تمكن الذكاء الاصطناعي من القيام بالنشاطات المرتبطة بها، في محاولة لتقليد الإنسان والإحلال محلها ماهية كإنسان آلي، ووظيفة، إلا أن إنسية الإنسان تتجاوز العبد العقلي فيه إلى الأبعاد الوجدانية والروحانية والأخلاقية والاجتماعية، وجماع هذه الأبعاد وإطارها الجامع والمنظم هو الوعي، ومستخلص هذه الأبعاد أن الإنسان كائن واعي. وهو ما يفيد أن الوعي خاصة وجودية ملازمة للإنسان في فصله النوعي الذي يتميز به عن كل كائن حيواني، ومعطى ميتافيزيقي محصّن لإنسيته من كل محاولة للاختراق والتقليد والاستنساخ (التأليل). فالإنسان الآلي إذ بلغ مستوى من التطور أهله لأن يكون آلة مفكرة، فإنه مع بلوغه هذه العتبة المتاخمة والملازمة للوجودي الإنسي، لا يعي ما يفكر فيه، ومعنى ذلك؛ أن لا قصدية ولا معنى وإرادة ولا حرية ولا مسؤولية لما يفكر فيه وما يفعله، أي أنه مجرد آلة مبرمجة وموجهة (تفكر وتفعل) انطلاقاً من مخزون قاعدة البيانات التي تحتوي عليها. وهو ما يسقط عنه تلقائياً تسمية وخاصة وصفة الإنسان.

إن تفلت العلم وتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي من الأخلقة في اختراعه وتطويره لما يسعى بالإنسان الآلي الند والبديل المستقبلي للإنسان كمخلوق بشري، والتي يؤسس لمرحلة ما بعد الإنسان، أوقعه في العبث من حيث أراد التجديد والبعث. عبث بالوجود الإنساني من خلال رهانه على معادلة تأليل الإنسان وأنسنة الآلة، فلا الإنسان يتألل، ولا الآلة تتأنسن. تلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

قائمة المراجع:

.قرآن كريم: سورة آل عمران.

1. الجزيري، مجدي، (2001) الفلسفة بين الأسطورة والتكنولوجيا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص: 248.
 2. بوستروم، نيك، (2019) "ما فوق الإنسانية"، دليل موجز إلى المستقبل، ترجمة: ياسر عبدا لواحد راشد، مراجعة وتقديم: حيدر عبد الواحد راشد، دار سطور. بغداد.
 3. عثمان، صلاح: نحو أخلاقيات للآلة.. تقنيات الذكاء الاصطناعي وتحديات اتخاذ القرار، مقال منشور في (المركز العربي للبحوث والدراسات)، متاح على (<http://www.acrseg.org/43003>). بتاريخ الخميس 14 يوليو 2022.
 4. علي حرب: " المشروع والبرنامج: مشكلة الروبو، مقال ضمن ملف: الذكاء الاصطناعي: صدام الأدمغة في مجلة الفيصل ، رابط المقال: <https://www.alfaisalmag.com/?p=34276>، 1 نوفمبر 2023
 5. عادل المعولي، (2016)، "لماذا تقدم العلم وتأخر العقل"، ج 2، ط 1، دار سؤال للنشر، بيروت، لبنان.
 6. مارجريت إيه بودين، (2022)، "الذكاء الاصطناعي"، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، (د.ط)، مؤسسة هنداوي.
 7. مشير باسيل عون، "الذكاء الاصطناعي يهدد إنسانية البشر ويفرض ثقافة أخرى".. بحثاً عن الاختلاف النوعي بين الوعي الإنساني وهذا التكون المعرفي المصطنع، <https://www.independentarabia.com/node/354316/18:52> . الجمعة 22 يوليو 2022.
 8. بريدوتي، روزي، (نوفمبر 2021)، "ما بعد الإنسان"، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة، العدد 488، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،
- 9- Carmody, F. J. (1952). Les Cahiers de la Pléiade Automne 1951 - Printemps 1952. Gallimard, Paris